تسليح الجيش المصري ومفاوضات السلام مع إسرائيل

أمريكا وتسليح الجيش المصري

قلنا إن أهم شرط في اتفاق روزفلت / عبد الناصر هو الحفاظ على أمن إسرائيل، وقد التزمت الثورة / عبد الناصر بهذا الشرط ، ولكن الجيش المصري كان في نفس الوقت في حاجة إلى أسلحة للدفاع عن نفسه ، وقد وعدت أمريكا بتزويده بهذه الأسلحة الدفاعية ، ولكنها تلكأت في الوفاء بهذا الوعد خوفاً من استخدام المصريين هذا السلاح ضد إسرائيل أو ضد الإنجليز الذين لم يكن قد تم توقيع اتفاقية الجلاء بينهم وبين مصر بعد .

ولقد أعطى جمال عبد الناصر تأكيدات شخصية لكافري بأن أي أسلحة تزود بها مصر سوف تستعمل فقط في الدفاع عن النفس فطلب كافري من مصر أن تقدم قائمة بالمعدات العسكرية المطلوبة .

وكان كافري من أبرز هؤلاء الذين اعتقدوا أن " محمد نجيب والرجال الذين حوله يريدون الاشتراك في تنظيم دفاعي معنا ، ولذلك فهم مستعدون لأن يكونوا حلفاء لنا إذا صممنا على أن يكونوا، وهم أيضاً يريدون مساعدة عسكرية واقتصادية ،وهم ليسوا ذوي عقلية تميل نحو الحياد فهم يعرفون ماذا تعني روسيا.[1]

ولقد أكد عبد الناصر مراراً وتكراراً للمسئولين الأمريكيين أنه في حاجة لتسليح الجيش لتأمين نظامه ليس للعدوان على إسرائيل أو غيرها .

([1]) جيفري ارونسون " العلاقات المصرية الأمريكية " مرجع سابق ص ٨٢ .

obeikandl.com

يقول كوبلاند : " وجهة النظر الأمريكية بخصوص استخدام عبد الناصر الجيش كقوة للقمع فهي تقول : عندما طلب عبد الناصر في الأيام الأولى من حكمه مساعدات عسكرية ، لم يكن هناك أي بحث في أن تكون هذه المساعدات لأهداف قتالية عادية مثل قتال إسرائيل أو اليمنيين أو غيرهم كما لم يكن هناك أي بحث في أن تكون كميات السلاح ضخمة أو فوق المتطلبات الداخلية المحضة . فلقد أكد عبد الناصر بوضوح لجميع السفراء الأمريكيين أن نظامه يعتمد على الجيش لضمان بقائه. وأنه يعتبر أي جيش رث الثياب مهلهل المظهر جيشاً تفوح منه رائحة العداء والتوثُّب " [١] .

ومع ذلك فإن اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة الأمريكية كان يقف بشدة ضد تزويد الجيش المصري بالأسلحة طالما ظل الصراع مع إسرائيل بدون تسوية.[٢]

وظلت العقبة أمام موافقة الولايات المتحدة على تزويد مصر بالسلاح هو إصرار الولايات المتحدة على أن تلتزم مصر بمطالب التشريع الأمريكي حول الأمن المتبادل.[٣]

ونترك عبد النعم أمين (عضو مجلس قيادة الثورة المفوض بالاتصال بالأمريكان) يحكي لنا قصة الثورة مع السلاح الأمريكي . عبد النعم أمين : "اتصل بي " ما كلينت " وقال لي : أريدك ضروري فإن وكيل وزارة الحربية الأمريكية سيزور القاهرة قريباً وهو من أقوى الشخصيات في السياسة الأمريكية وله تأثير خطير عليها وقد عملت ترتيبي على دعوة للقاء معه ويمكنك أن تدعو كل من تراه مؤثراً في هذا الحوار .

وبالتأكيد فإننا كنَّا في حاجة إلى مساعدات مالية واضحة من أمريكا ، أسلحة حتى للدفاع وليس للهجوم لأنهم كانوا يضعون في اعتبارهم دائماً إسرائيل فقد قالوا لنا آخر شيء نستطيع أن نقدمه لكم هو الأسلحة هل نمدكم بالأسلحة لكي تحاربوا إسرائيل !

([1]) مايلز كوبلاند " لعبة الأمم " تعريب مروان خير مرجع سابق ص ١٢١ .
([2]) جيفري ارونسون " العلاقات المصرية الأمريكية " مرجع سابق ص ١٥٩ .
([3]) جيفري ارونسون " العلاقات المصرية الأمريكية " مرجع سابق ص ١٦٠ .

obeikandl.com

لما جاء وكيل وزارة الخارجية الأمريكية قلت لعبد الناصر : اذهب أنت وعبد الحكيم عامر لمقابلته فقال لي : لا .. اذهب أنت ، أنت بتعرف تتكلم معهم كويس والحقيقة أن عبد الناصر لم يكن يعرف انجليزي جيداً .

فقال لي : ما كفاية أنت .. فقلت لعبد الناصر : لازم يعرفوك باعتبارك من أقوى العناصر في مجلس قيادة الثورة .. وفعلاً ذهب هو وعبد الحكيم عامر وتحدثنا وبالطبع كنت أنا الذي أتناقش معهم لأن لغتهم الإنجليزية كانت ضعيفة جداً وأقنعت " ماكلنيت " وقال لي : ابعت إلى أمريكا فوراً بمن تريد أن ترسله للتفاوض في صفقة السلاح فقلت لعبد الناصر ، وبعث كل من علي صبري والنكلاوي .

وبالفعل سافر علي صبري والنكلاوي وتزامن وقتها أنني سافرت إلى انجلترا في شهر أكتوبر لإجبار الإنجليز على الجلاء وبدأت المفاوضات للجلاء وقابلت وكيل وزارة الحربية هناك وللأسف الشديد كان الإنجليز في منتهى البطء والتسويف وعدت بلا أية نتيجة مما شجعنا على مهاجمة معسكراتهم عن طريق أسلحة مضادة من المخابرات .

وكان المفروض في تلك الفترة أن يلتقي كل من تشرشل وايزنهاور في برمودا في ديسمبر أثناء وجود علي صبري والنكلاوي هناك وطبعاً الإنجليز عرفوا لأن السفارتين على اتصال دائم بينهما وحتى لا يتهم أحد الأخر بالخيانة !

وهنا قال تشرشل لايزنهاور : أنت تريد أن تعطي مصر أسلحة لكي يضربوننا ويهاجموننا في القتال . وكانت النتيجة التسويف من جانب أمريكا وقالوا لعلي صبري والنكلاوي .. وما هي الأسلحة التي يريدونها ؟ ولابد من المشاهدة أولاً .. اكتبوا القائمة لكي نقول لكم هل ممكن شراءه وهذا من الممنوعات ثم ما هي الطريقة التي ستدفع بها مصر فقيل لهم : بالتقسيط .. لا نحن نريد الدفع فوراً.. المهم أنهم وضعوا العراقيل أمام شراء مصر أسلحة .. حين أحسوا أن مصر يمكن أن تزيل هذه

الصعوبات قالوا لهم : نحن الآن نحتفل بالكريسماس وسوف نواصل المباحثات بعد ذلك وعاد صبري والنكلاوي على هذا الأساس ! " [١]

وكان البريطانيون يعارضون بشكل مطلق بيع أسلحة أمريكية لمصر ليس فقط لخوفهم استخدام مصر هذه الأسلحة ضدهم ، أو ضد إسرائيل بل لأنهم يعدون مصر سوقهم أيضاً ، ولا ينبغي منافستهم فيه ، واستمر البريطانيون في ممارسة ما يقرب من الفيتو على شحنات السلاح لمصر ، وظلت العلاقات الإنجليزية المصرية متوقفة كما ظل إيدن وتشرشل بعد أن نجحا في جهودهما لمنع تزويد الولايات المتحدة لمصر بالسلاح يأملان في كسب التزام الولايات المتحدة في أن تزج بنفسها بشكل مباشر في المفاوضات الإنجليزية المصرية حول السويس. [٢]

وكما فشلت المباحثات المصرية الأمريكية في مدٍّ الأخيرة مصر بالسلاح الدفاعي فإن المباحثات بين إسرائيل وعبد الناصر للوصول إلى سلام قد فشلت أيضاً .

المباحثات السرية بين إسرائيل ومصر

كان عبد الناصر يكره النظرية الصهيونية التي ترمي إلى إقامة دولة عنصرية تخدم المصالح الغربية الإمبريالية في الوطن العربي ، وتعتبر غير اليهود مواطنين من الدرجة الثانية ومن ثمَّ تقضي على أساس العلاقة العربية / اليهودية التي ظلت قائمة ما يربو على ألف عام " لكنه كان يعلم أن إسرائيل وجدت لتبقى وأن المجتمع الدولي لن يسمح بالقضاء عليها . لهذا لم يتفق مع أولئك الذين راحوا يطالبون بالجهاد ضد الإسرائيليين أمثال الإخوان المسلمين . وكان عبد الناصر يهتم أساساً، بصرف النظر عن أي شيء آخر وكما استطاع أن يقنع ريتشارد كروسمان ، عضو مجلس العموم البريطاني الموالي للصهيونيين ، بالحاجة إلى الإصلاحات الداخلية في مصر ، ومما

([1]) من حوار محمود فوزي مع عبد المنعم أمين " حكام مصر : عبد الناصر " مركز الراية للنشر والإعلام ص ٢٦، ٢٧ .

([2]) جيفري ارونسون " العلاقات المصرية الأمريكية " مرجع سابق ص ١٠٢ .

لا شك فيه أنه بعد أن أفلح في حمل البريطانيين على سحب قواتهم كان أول هدف له هو إصلاح الاقتصاد المصري المنهار .

والواقع أن عبد الناصر كان أبعد ما يكون عن الرغبة في الدخول في حرب مع إسرائيل في تلك المرحلة لدرجة أنه أجرى ، ابتداء من خريف عام ١٩٥٣ حتى الهجوم على غزة اتصالاً سريّاً مع موشى شاريت رئيس الوزراء الإسرائيلي عن طريق المكتب الصحفي التابع للسفارة المصرية في باريس وعن طريق غيره من قنوات الاتصال بين الحين والحين ". [١]

وقصة الاتصال السري بين مصر وإسرائيل تبدأ في ٢٣ أغسطس ١٩٥٢ حيث بعث علي شوقي وزير مفوض السفارة المصرية بباريس برسالة إلى علي ماهر باشا رئيس الوزراء ووزير الخارجية جاء بها :

اتصل شخص بمنزلي يوم ٢٢ أغسطس ١٩٥٢ وسأل عما إذا كان بإمكانه الاتصال بي في صباح اليوم التالي واعتذر عن كشف هويته ..وفي يوم ٢٣ جاء الشخص المذكر إلى منزلي وذكر أنه صموئيل ديفون السكرتير الأول بالسفارة الإسرائيلية في باريس .

وقال أنه مكلف من حكومته بنقل رسالة رسمية كتبت على ورقة بسيطة ليس عليها شعار السفارة الإسرائيلية ومؤرخة ٢٢ أغسطس وبها: تقترح حكومة إسرائيل على الحكومة المصرية عقد اجتماع لبحث إقامة سلام بين البلدين وبينما الحكومة الإسرائيلية على استعداد تام لإجراء مفاوضات سلام فوري فإنه ستوافق أيضاً على إجراء محادثات تمهيدية فقد في هذه المرحلة وإذا رأت مصر أن ذلك مناسب وهدفها استطلاع إمكانية إقامة سلام أو على الأقل إيجاد في هذا الاتجاه فيسكون من المرغوب أن تعلن مصر رد فعلها على هذا الاقتراح بأسرع ما يمكن .

([1]) انتوني ناتنج " ناصر " ترجمة شاكر إبراهيم سعيد مكتبة مدبولي ط٢ ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

وفي يوم ٢٣ أغسطس ذهب صموئيل ديفون إلى منزل على شوقي وأطلعه على الرسالة السابقة وقد استغرق هذا اللقاء أربعين دقيقة وكان أغلب الحديث بينهما يدور باللغة العربية .

وفي ضوء هذه الاتصالات ورغم عدم الرد على المبادرة الإسرائيلية فإن محمد نجيب أول رئيس جمهورية لمصر كان له رأي في أولية وأهمية الصراع العربي الإسرائيلي حيث كان يرى في ذلك الوقت أن إسرائيل ليست هي العدو الأول لمصر وإنما انجلترا التي تحتل قناة السويس وتضع على أرضها أكثر من ٨٠ ألف جندي من جنودها .

وذلك المعنى أيضاً قد ردده عبد الناصر في الثالث عشر من ديسمبر عام ١٩٥٣ حيث قال : " يتناسى قادة العرب السبب الأول وهو انجلترا ويقولون أنه إسرائيل اليهود ويخشون أن يقولوا انجلترا . "

وفي نهاية عام ١٩٥٢ وبداية ١٩٥٣ وبرغم عدم الرد على مبادرة إسرائيل إلا أنه لم يكن هناك موقف عدائي واضح أو معلن بصورة سافرة من جانب القيادة المصرية تجاه إسرائيل .

ورغم أن محمد نجيب قرر ألا يرد على مبادرة إسرائيل لأن الوقت لم يحن لبحث العلاقة مع إسرائيل فإن عبد الناصر قد قرر مواصلة العلاقة مع إسرائيل بعيداً عن محمد نجيب ومجلس قيادة الثورة فقد جاء في الوثائق السرية الإسرائيلية أنه في ١٢ مايو ١٩٥٣بعث صموئيل ديفون المفوض الإسرائيلي بالسفارة الإسرائيلية في باريس برسالة سرية وشخصية إلى رؤبين شيلوح بوزارة الخارجية في تل أبيب قال فيها :إن الملحق الصحفي بالسفارة المصرية في باريس عبد الرحمن صادق قد قدم نفسه لي وأدلى بصفته مفوضاً من قبل القيادة المصرية أنه ممثل لحكومته في الاتصال السري وسيقوم بمحادثاته معي في إطار التعليمات التي معه وقد قال لي: أنه تلقى تعليمات من عبد الناصر لكي يبلغه بالرد على الاقتراح الإسرائيلي في موضوع السلام الذي تلقاه مؤخراً .

obeikandi.com

ويستدرك ديفون قائلاً: إن عبد الرحمن صادق يعلل سبب تأخير الجواب بقوله: إن الخطاب قد كتب في إبريل ولكنه وصل إلى باريس متأخراً بسبب وجود بعض الصعوبات في بريد الدبلوماسيين وقد ذُيِّل الخطاب بتوقيع جمال عبد الناصر كنائب للرئيس محمد نجيب .

ثم يشرح أو يوضح ديفون لما جاء بالخطاب الذي يحمله عبد الرحمن صادق فيقول في رسالته: في هذا الخطاب كتب عبد الناصر يقول أنه ينبغي على إسرائيل أن تقدر وأن تفهم موقف الحكومة المصرية إزاء الرأي العام لشعبها والرأي العام الخاص للبلاد العربية الأخرى لذلك ينبغي علينا إعادة بناء سياستنا تجاه إسرائيل بالتدريج لكي نعمل سويّاً لنتائج أفضل، ثم يستطرد عبد الناصر في خطابه إلى عبد الرحمن صادق الذي يقوم بتبليغه لديفون: ونحن في الوقت الحالي سنقوم كخطوة أولى بوقف التصريحات العدائية ضد إسرائيل من أجل ذلك الغرض.. وأنني أؤكد أنه ليس لدينا أي نوايا عدائية ضد إسرائيل وأنني سعيد لأن حكومة إسرائيل تتقبل كلامنا على أساس الثقة المتبادلة .

ثم استدرك عبد الناصر في خطابة قائلاً : إن مصر تعرف جيداً قوة تأثير إسرائيل على الدوائر الأمريكية، وهي تأمل أن تستخدم إسرائيل في هذه الفترة الحاسمة في تاريخ مصر هذا التأثير لتعزيز وتقوية المطالب المصرية في الصحف والإعلام والدوائر الرسمية الأمريكية حيث إن هذا له دور في تسهيل دورنا ومهمتنا الخاصة بالتوصل إلى تسوية نهائية في علاقتنا مع إسرائيل .

كما أن عبد الناصر رد على اقتراح خاص بشراء إسرائيل للقطن المصري قائلاً : مع إقرارنا بالشكر والتقدير الكبير لهذا الاقتراح إلا أنه لم يأت بعد الوقت المناسب لتنفيذه .

وكانت هناك رسالة في ٣٠ يونيه١٩٥٣ من السفير الأمريكي بالقاهرة جيفرسون كافري إلى واشنطن، جاء فيها : إن جمال عبد الناصر أدلى إلى أحد المسئولين بالسفارة بمزيد من المعلومات حول اتصالاته مع إسرائيل أكد فيها أنه بالإضافة إلى صديقه في

إسرائيل فإن له اتصالات في باريس وتركيا يسعى من خلالها إلى الإطلاع على حقائق الموقف في إسرائيل.. وقال أيضاً أنَّ عَقْد تسوية نهائية مع إسرائيل لا تزال أمراً وارداً في ذهنه، ولكن اتصالاته الحالية لا تهدف سوى الحصول على المزيد من المعلومات وأن الطريق لا تزال بعيدة في رأيه أمام أية تسوية سلمية وقد أبدى كل من عبد الناصر وعبد الحكيم عامر الذي عين أخيراً قائداً عاماً للقوات المسلحة والذي كان يشارك في الحديث استياءً شديداً بصورة ملحوظة بشأن دور الدول العربية الأخرى في حرب فلسطين واختلط ذلك بشكوك في سلوك المعارضة الحادة التي تبديها بعض الدولة العربية الأخرى تجاه إسرائيل .

وصل مستر رالف بانش مساعد السكرتير العام للأمم المتحدة إلى القاهرة في ١٠ سبتمبر ١٩٥٣ وكما يروي قائلاً : ولقيت استقبالاً حاراً من اللواء محمد نجيب والمسئولين الآخرين.. وفي حديثي مع محمود فوزي وزير خارجية مصر، أشار إلى أن مصر تلقت عدداً من متقرحات السلام في إسرائيل وهنا مقترحات أخرى في الطريق، وقال الدكتور محمود فوزي أنه عندما علم أني أزمع التوجه إلى القدس قال أن مصر مهتمة بالتعرف على احتمالات قيام مفاوضات مع إسرائيل وقال أن مصر يمكن أن تقبل وجود إسرائيل على صحراء النقب ومن البديهي أن مصر تريد ممراً ما يربطها بالأردن عبر الصحراء وسأل مستر بانش الدكتور فوزي عما إذا كان بوسعه إبلاغ هذه التصريحات إلى المسئولين الإسرائيليين فأجاب الموافقة بشرط ألا يوحي للإسرائيليين بأن المصريين طلبوا منه ذلك .

وفي القدس تحدث بانش مع بن جوريون رئيس الوزراء وموشى شاريت وزير خارجية إسرائيل وأبلغه بتصريحات الدكتور فوزي ولم يتلق ردّاً مباشراً ، ولكن موشى شاريت دعاه إلى حفل عشاء يبلغه بأن إسرائيل تريد إجراء محادثات مع المصريين وهي مستعدة للذهاب إلى أي مكان في القاهرة لإجراء هذه المحادثات والتي يجب أن تبقى سرية تماماً ، كما أبلغه أن الإسرائيليين مستعدون للبدء في المفاوضات دون شروط مسبقة وعلى أساس جدول أعمال مفتوح .

ثم عاد بانش للقاهرة وأبلغ الدكتور فوزي بالاستجابة الإسرائيلية ومن ثم بدا فوزي مهتماً بجدية الموضوع وقال أنه سيبلغ اللواء محمد نجيب بذلك، وبعد ذلك نشرت صحيفة نيويورك تايمز رواية حول هذا الموضوع فأسرع المصريون بعدها ونفوا على الفور أنهم سعوا إلى التقارب مع إسرائيل .

ولعل ما أشارت إليه النيويورك تايمز قد جعل عبد الناصر يدلي بحديث لصحيفة الأهرام في ٢٢ أغسطس١٩٥٣ يرد فيع على هذه الإشارة نافياً أي اتصالات سرية بإسرائيل وكرر هذا النفي في مرات لاحقة .

رغم أن حكومة إسرائيل أرادت الاتصال السري بمجلس قيادة الثورة وعلى رأسه إلا أن عبد الناصر قد سعى من خلال عبد الرحمن صادق إلى الانفراد بهذه الاتصالات وذلك لتطويعها واستثمارها لخدمة أهدافه الخاصة والشخصية نحو الزعامة والسلطة من خلال أهداف تبدو عامة وجماهيرية كطلبة مساعدة إسرائيل في الضغط على الولايات المتحدة لتضغط على بريطانيا لتحقيق الجلاء العسكري عن مصر .

إن مطالب عبد الناصر كانت تأخذ شكل المناورات لتحقيق أهدافه الخاصة... إزاء عجالة أو لهفة وشغف الحكومة الإسرائيلية نحو تحقيق سلام مع مصر . [1]

إذن قصة الاتصال السري بين عبد الناصر وشاريت بدأت عندما تولى موشى شاريت رئاسة وزراء إسرائيل عام ١٩٥٣ خلفاً لـ " بن جوريون " وكان يعتقد أن أفضل وسيلة لضمان أمن إسرائيل هي التفاوض مع العرب لذا أرسل الدبلوماسي الإسرائيلي " زياما ديفون " لاختبار نية عبد الناصر نحو إسرائيل .

ذهب " زياما ديفون " إلى باريس حيث المقر المؤقت للجمعية العامة للأمم المتحدة آنذاك ، وحاول الاتصال بالدبلوماسي المصري عبد الرحمن صادق .

([1]) لمزيد من التفاصيل راجع الفصل الرابع: علاقة عبد الناصر سرية ومصلحة وسلطة في كتاب محمد الطويل " لعبة الأمم وعبد الناصر " المكتب المصري الحديث .

يقول عبد الرحمن صادق : " كنت جالساً في شرفة الصحافة فجاء " زياما ديفون " وجلس بجانبي .

زياما ديفون : وبدأنا الحديث وقلت له سيدي العزيز أنا يهودي ثم نظرت في وجهه ولم أجد أي علامة لعدم الارتياح .

عبد الرحمن صادق : قلت له من تمثل أنت ؟ وأخيراً وبعد إلحاح مني قال أمثِّل شاريت .

زياما ديفون : قلت أنا إسرائيلي أحلم باتفاقية سلام مع مصر .

كان محظوراً على المصريين التحدث مع الإسرائيليين لذلك شعر عبد الرحمن صادق بقلق عندما أرسل عبد الناصر في طلبه .

عبد الرحمن صادق : دخلت فوجدت البكباشي جمال عبد الناصر في منتصف الحجرة ، وقال عايز أبلغك بأنك أنت مفوض مني لاستطراد الكلام مع محدثك في باريس .

وكان عبد الرحمن صادق ينقل التقارير مباشرة إلى جمال عبد الناصر .

عبد الرحمن صادق : للبحث عن التوصل إلى تسوية بدون إراقة دماء .

وفي خطوة للبحث لإظهار جديته أمر عبد الناصر بتخفيف الحملة الإذاعية ضد إسرائيل . كما وافق على تقييد غارات الفدائيين الفلسطينيين عبر الحدود .

وهكذا كان رئيس الوزراء الإسرائيلي " شاريت " قد فتح خط اتصال مباشر مع أقوى زعيم عربي ، لكن من وراء ظهر شاريت كان بعض الزملاء يتبعون خطاً آخر فبن جوريون ، الذي يرى أن القوة هي التي صنعت إسرائيل وهي القادرة على بقائها وتحقيق أحلامها ، لم يكن واثقاً من خليفته شاريت لذلك عيَّن اثنين من أنصاره في مراكز حساسة وهما " بن حاس لافون " وزير دفاع ، "موشى ديان" رئيس أركان الجيش . [1]

([1]) عمرو الليثي " أورشاليم ، شهادات قادة الصراع العربي الإسرائيلي " ص ٤٤ ، ٤٥ .

obeikandl.com

والروايتان المصرية والإسرائيلية تؤكدان أن إسرائيل بعدما فشلت في مبادرتها الأولى لإقامة اتصالات سرية مع مجلس قيادة الثورة وعلى رأسه محمد نجيب عن طريق علي شوقي في أغسطس ١٩٥٢ أنها لجأت إلى الاتصال بعبد الناصر في مايو ١٩٥٣ عن طريق عبد الرحمن صادق من وراء ظهر مجلس قيادة الثورة ومحمد نجيب الذي كان رئيساً للجمهورية حينئذ !!

فضيحة لافون وأثرها على الاتصالات السرية

في تلك الأثناء كانت العلاقة ما زالت جيدة بين مصر وأمريكا التي أقنعت بريطانيا بتوقيع اتفاقية جلاء مع مصر ، كما وعدت مصر بتقديم الإمدادات العسكرية في مقابل ذلك فإن أمريكا كانت ما تزال تفرض حظراً على تزويد إسرائيل بالسلاح ، وشعر جناح بن جوريون في وزارة شاريت أن إسرائيل أصبحت معرضة للاحتكاك المباشر مع مصر لأن وجود القوات البريطانية كان حاجزاً يقلل من احتمال قيام الجيش المصري بالتعرض لإسرائيل ، ومن هنا جاء تخطيط هذا الجناح في القيام بالعملية التي عرفت فيما بعد باسم "فضيحة لافون" وهي عملية سرية إسرائيلية فاشلة كان من المفترض أن تتم في مصر في صيف عام ١٩٥٤ كانت خطة " لافون " تقوم على تنفيذ عمليات تخريبية في مصر تهدف إلى منع أو تأجيل أهداف الاتفاق المصري / الإنجليزي عن طريق :

أ- ضرب مراكز ثقافية وإعلامية.

ب- ضرب مؤسسات اقتصادية .

ج- ضرب سيارات المندوبين وغيرهم من البريطانيين .

د- تدمير أي هدف يمكنه أن يؤدي إلى إساءة العلاقات الدبلوماسية .

ولكن السلطات المصرية اكتشفت هذه العملية وحكمت على منفذي العملية في ديسمبر عام ١٩٥٤، بعقوبات مختلفة تراوحت ما بين الإعدام لشخصين هما : موسى ليتو مرزوق وصمويل بخور عازار، والأشغال الشاقة لكل من: فيكتور ليفي وفيليب

هرمان ناتاسون، والأشغال الشاقة لمدة ١٥ سنة لكل من: فيكتورين نينو وروبير نسيم داسا، والأشغال الشاقة لمدة ٧ سنوات لكل من: مائير يوسف زعفران وماير صمويل ميوحاس .

أرسل شاريت الذي تمت هذه العملية من وراء ظهره مبعوثه إلى باريس لكشف الحقيقة لممثل عبد الناصر .

يقول عبد الرحمن صادق (ممثل عبد الناصر) : " قال ممثل شاريت أنه تم تدبير هذه المؤامرة في وزارة الدفاع وأنهم لا يعرفون عنها أي شيء وأن المتطرفين هم المسئولون عنها بالكامل ."

ولكن رد عبد الناصر كان خلاف ما توقعه شاريت .

فقال لعبد الرحمن صادق : " عبد الرحمن : يبدو أن المعتدلين غير قادرين على حكم إسرائيل . "

بعد هذه الحادثة أغلق عبد الناصر خط الاتصال السري مع إسرائيل ، وحكم على اثنين من المُخَرِّبين اليهود في عملية " لافون " بالإعدام ، وعلى اثنين آخرين بالسجن خمسة عشر سنة . [١]

عبد الناصر وشاريت والاتصال السري

في الحقيقة إن عبد الناصر لم يقطع الاتصال السري مع شاريت إذ تبين له يقيناً أن مؤامرة وزارة الدفاع الإسرائيلية تمت من وراء ظهر شاريت الذي أدان بصراحة المسئولين عن هذه المؤامرة . " ولهذا كانت هناك مبررات قوية تحمل عبد الناصر على المضي في جهوده الرامية إلى التوصل إلى التفاهم مع شاريت وكان يأمل على الأقل في أن تبين هذه الجهود للإسرائيليين أن مصر الجديدة لا تُكِنُّ أي نوايا عدوانية

([1]) عمرو الليثي " أورشاليم ، شهادات قادة الصراع العربي الإسرائيلي " ص ٤٤ ، ٤٥ .

obeikandl.com

لهم وربما مكنت ، وذلك في أحسن الأحوال ، من تحويل الهدنة الهشة المزعزعة إلى تسوية سلمية .. لقد أقنع شاريت عبدَ الناصر أنه يرغب في التوصل إلى تسوية وأنه يعلم أنه لا بد من عمل شيء للاجئين الفلسطينيين ، لكن كل ما استطاع تقديمه هو تعويضهم عن ديارهم التي فقدوها ، ولم يوافق شاريت على عودة اللاجئين التي قال إنها ستؤدي إلى ضياع السكان اليهود وسط العرب العائدين ومن ثمَّ يتعين على الدول العربية أن تضطلع بمهمة إعادة توطين الفلسطينيين . كذلك لم يستطع شاريت أن يلبي مطلب عبد الناصر الرئيسي الآخر وهو التنازل عن جنوب صحراء النقب لإقامة حدود متجاورة بين مصر وشقيقتها الأردن . لكن لم يكن لهذا الحوار جدوى ذلك لأن شاريت لم يكن في وضع يمكنه من التفاوض حول أية تنازلات في الأراضي كما أنه لم يكن بوسعه أن يقدم ما يكفي لإرضاء اللاجئين الفلسطينيين . " [١]

وفي ٢١ فبراير ١٩٥٥ عاد بن جوريون رئيساً لوزراء إسرائيل مرة ثانية ، وتولى شاريت وزارة الخارجية ، ظل عبد الناصر يأمل أن يتمكن شاريت من أن يحافظ على حالة الهدوء التي اتفقا على أنها لمصلحة بلديهما سواء تسنى لهما التوصل إلى تسوية شاملة أم لا ، ولكن لم يمض على تولي بن جوريون رئاسة الوزارة ووزارة الدفاع بضعة أيام حتى شنَّ غارة على غزة واستمرت الاستفزازات الإسرائيلية على قطاع غزة وكانت هذه الاعتداءات نهاية طريق التسوية السلمية بين عبد الناصر وحكام إسرائيل .

وكرر عبد الناصر طلب السلاح من أمريكا لتأمين حدود مصر ضد الغارات الإسرائيلية ، ونظراً لتلكؤ أمريكا في بيع السلاح لمصر اضطر عبد الناصر لعقد صفقة الأسلحة التشيكية التي أدخلت الاتحاد السوفيتي بخطوة واحدة إلى المنطقة التي كانت أمريكا تعدها حكراً عليها .

* * *

([1]) انتوني ناتنج " ناصر " ترجمة شاكر إبراهيم سعيد مكتبة مدبولي ط٢ ص ١٢٧ ، ١٢٨ .